ϯⲙⲏⲧⲣⲟⲡⲟⲗⲓⲥ ⲛ̀ⲛⲓⲣⲉⲙⲛ̀ⲭⲏⲙⲓ ⲛ̀ⲟⲣⲑⲟⲇⲟⲝⲟⲥ ⲛ̀ⲧⲉ ⲛⲓⲃⲁⲕⲓ Ⲙⲁⲅⲁⲅⲁ ⲛⲉⲙ Ⲉⲗⲉⲇⲱⲁ
ⲉⲧϧⲉⲛ Ⲙⲁⲅⲁⲅⲁ
مطرانية الأقباط الأرثوذكس
لمركزي مغاغه والعدوة - بمغاغه

سكرتارية المطرانية
صادر /
مرفقات /
التاريخ ٦ / ١ / ٢٠١٢
رسالة رعوية ((١ - ٢٠١٢))

جاء المسيح معلماً بالحرية

وواهباً إياها

مقدمة :

أهنئكم يا إخوتي وأبنائي بميلاد السيد المسيح له المجد ، راجياً لكم فيه من الله ، ولبلادنا مصر ، وللعالم أجمع ، كل بركة وخير وسلام .

بلا شك كان لمجيء السيد المسيح أهداف روحية كثيرة ، من بينها أنه :

جاء معلماً بالحرية وواهباً إياها .

نتذكر وقت أن خلق الله الإنسان ، وأنعم عليه بنعمة الوجود . أعطاه الحرية كهبة ، ووعده بتجديدها ، وإزالة كافة العقبات التى تقف فى طريقها ، لتحقيق الأهداف المرجوة منها .

لكن للأسف الشديد ، لم تستطع البشرية أن تحصل إلا على أقل القليل من ثمار هذه العطية الإلهية .

وهذا يرجع لعدة أسباب ، فى مقدمتها :

وجود الشيطان ، عدو البشرية ، وعدو كل خير يُقدم لها ويُقدمها . وأيضاً سقوط أبوينا الأولين فى الخطية ، بغواية من الشيطان ، والذى ترتب عليه سقوط نسلهما معهما فى الخطية ، وورث عقوبة التعدى أيضاً معهما .

بالإضافة إلى ذلك الفهم الخاطيء للحرية ، والاستخدام الخاطيء لها ، من قبل الإنسان . كل هذه العوامل كانت لها أدوار في ضياع الحرية والحريات القائمة عليها ، والثمار التى كانت منتظرة منها .

فمن هنا كان من بين أهداف مجيء المسيح للبشرية ، هو إرجاع الحرية وثمارها التى سلبت منها : ((روح الرب عليَّ ، لأنه مسحني لأبشر المساكين ، أرسلني لأشفي منكسري القلوب ، لأنادي للمأسورين بالإطلاق ، وللعمى بالبصر ، وأرسل المنسحقين فى الحرية . وأكرز بسنة الرب المقبولة)) (لو ٤ : ١٨ – ١٩) .

وكما أن الحرية هى هبة أو عطية من الله ، فهى أيضاً وعد إلهي صادق : ((واعدين إياهم بالحرية)) (٢ بط ٢ : ١٩) .

وإليك جوانب الحرية التى علم بها المسيح ، ووهبها ويهبها ، ووعد بها الناس :

١ - حرية التعبير عن الرأي .

فنجده كان يعبر عن رأيه ، بطريقة أو بأخرى ، بوضع سليم ، كله رقي وتحضر وحكمة وأدب ، بما يناسب التوقيت والمناسبة والاحتياج .

لكن من الملاحظ فى حرية التعبير التي قدمها المسيح للناس ، أنها لم تكن قاصرة ، على حدود التعبير عن الرأي المنفرد .

بل امتدت للحوار مع الآخرين ، سواء كانوا من تلاميذه وخاصته ، أو مع المختلفين معه وأعدائه . ومع ذلك في هذا الصدد ، كان هناك جانب في حرية التعبير، في أنه كان يتحاور مع المتفقين مع بعضهم البعض ، وأيضاً مع المختلفين مع بعضهم البعض .

بلا شك حوارات المسيح شملت الكل الكبار والصغار ، الرجال والنساء ، الأغنياء والفقراء ، المتعلمين والأميين ، الحكام والمحكومين ، اليهود والأمم ، من يؤمن بدين ومن لا يؤمن .

وفوق الكل كانت حرية التعبير عن الرأي لها أهداف بناءة . لذلك أصبحت آراء المسيح ، شريعة إلهية ، ومناهج صالحة للتعاليم ، وحجة في التعبير عن الرأي والحوار ، لكل الأجيال على مر العصور .

ولم تكن تعاليم المسيح وقراراته قاصرة على حرية التعبير عن الرأي ، بل جاءت من بعدها :

٢ - الحرية الدينية .

كلنا نعلم وقت أن جاء المسيح إلى العالم ، كان العالم ينقسم إلى قسمين هما : اليهود والأمم . فاليهود كانوا يؤمنون بالله ويعبدونه ، أما عن الأمم فكانوا لا يؤمنون بالله ، بل البعض منهم كان مؤمناً بالآلهة الوثنية ويعبدها . والبعض الآخر كان ملحداً لا يؤمن بإله ولا يقدم عبادة لأحد .

ومن منطلق أن المسيح جاء فادياً ومخلصاً للكل ، أمر تلاميذه وخلفاءهم ، بالكرازة بالإنجيل للخليقة كلها : « اذهبوا إلى العالم أجمع ، واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها » (مر ١٦ : ١٥) .

إلا أنه كان يعلم أن هناك البعض من الناس ، يقبلون الشهادة عنه ويؤمنون ويعتمدون ، والبعض الآخر لا يقبلون الشهادة عنه ، بالتالي لا يؤمنون ولا يعتمدون .

لذلك حرصاً منه ، على الحريات الدينية والمعتقدات ، التى كانت لدى الناس، إن كانت صحيحة أم خاطئة ، موجودة أم لا ، قال : « من آمن واعتمد خلص ، ومن لم يؤمن يدن » (مر ١٦ : ١٦) .

ولم يقبل أن يضغط على حرية الناس ، لقبول الإيمان به ، بل ترك حرية الاعتقاد لمن يقبل ولمن يريد ، دون ضغط أو إكراه على أحد .

وحتى بالنسبة للذين آمنوا به ، لم يضغط عليهم للاستمرارية معه ، بل لكل إنسان الحرية الكاملة ، في أن يستمر أم لا .

وبناء عليه ، تتحدد المكافأة أم العقوبة : « كل من يعترف بى قدام الناس ، اعترف أنا أيضاً به قدام أبي الذي في السموات . لكن من ينكرني قدام الناس ، أنكره أنا أيضاً أمام أبي الذي في السموات » (مت ١٠ : ٣٢ ، ٣٣) .

ومن بين جوانب الحرية التي علم بها المسيح :

٣- حرية الاختيار ما بين أمرين .

مثال الزواج والبتولية والكتاب يقول عنهما : « من زوج فحسناً يفعل ، ومن لا يزوج يفعل أحسن » (١ كو ٧ : ٣٨) فالاثنان مدحهما الكتاب بقوله : عن الزواج أنه حسن ، والبتولية أحسن .

إلا أن الله قدم للإنسان حرية الاختيار في ما يناسبه . فإن اختار الزواج ، فعليه أن يسلك حسب شروطه . وإن اختار البتولية ، فعليه أن يسلك حسب شروطها .

وفي النهاية الله يكافيء أو يعاقب ، إن كان أحد يستحق المكافأة أو العقوبة .

وأيضاً من بين الجوانب التي فيها اختيار ما بين أمرين : هي الخير والشر ، الحياة والموت ، البركة واللعنة : « انظر قد جعلت قدامك ... الخير ... والشر ... الحياة والموت . البركة واللعنة » (تث ٣٠ : ١٥ ، ١٩) .

فمن خلال الحرية ، يمكن للإنسان أن يختار الخير وعليه أن يسلك حسب شروطه . وإن لم يسلك حسب شروطه ، يكون قد اختار الشر بكامل حريته ، وسالكاً حسب شروطه .

وما قيل عن الخير والشر ، يمكن أن يقال عن الحياة والموت ، البركة واللعنة . فإن فضل الإنسان الحياة على الموت ، فعليه أن يراعي شروطه ، إن لم يراعي فيجد نفسه سالكاً في طريق الموت ، ورائحة الموت يشتمها هو والآخرون . وهكذا البركة واللعنة ، يقدمها الله للإنسان ويترك له حرية الاختيار ، فإن اختار البركة تحل عليه ، وإن اختار اللعنة تحل عليه أيضاً .

فالله يعرض علينا ، ونحن يجب أن نحسن الاختيار ، لكي نحصد ثمار الخير والبركة والحياة ، لا ثمار الشر واللعنة والموت .

ومع ذلك قدم المسيح درساً آخر وهو :

٤- حرية الإرادة .

مثال الخدمة : دعا الرب كثيرين للخدمة ، واستجابوا لتلك الدعاوي ، مثال موسى النبي والآباء الرسل ، وقاموا بخدمات جليلة ، سجلها الكتاب والتاريخ ، واستفاد منها الكثيرون . وعكس ذلك دعا الرب كثيرين للخدمة ، وبكامل إرادتهم رفضوا الدعوة ، خوفاً من الخدمة ومسئولياتها .

❖❖❖❖❖❖ ❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖ ❖❖❖❖❖❖❖❖

مثال آخر لحرية الإرادة ، تطبيق وصايا الله : فالإنسان له كامل الحرية ، في تطبيق وصايا الله أم لا . فالتطبيق له ما يظهره ، وعدم التطبيق له أيضاً ما يظهره ، لأن العبرة ليست بالكلام ، بل بالعمل والحق : « من قال قد عرفته، وهو لا يحفظ وصاياه ، فهو كاذب، وليس الحق فيه. وأما من حفظ كلمته فحقاً في هذا ، قد تكملت محبة الله بهذا نعرف أننا فيه » (١ يو ٢ : ٤ – ٥)

٥- حرية القبول أو الرفض .

مثال التوبة : هل الإنسان يقبل التوبة ، أم يرفضها .

بالرغم من أن التوبة أمر إلهي لجميع الناس : « الله الآن يأمر جميع الناس ، في كل مكان أن يتوبوا ، متغاضياً عن أزمنة الجهل » (أع ١٧ : ٣٠)

وبالتوبة يحررهم الرب من خطاياهم : « إن حرركم الابن فبالحقيقة ، تكونون أحراراً » (يو ٨ : ٣٦)

وبالرغم من ذلك ، نجد البعض من الناس بحرية كاملة ، يقبلون إلى التوبة ويسيرون فيها ، مثال الابن الضال ، والقديسة مريم القبطية .

والبعض الآخر يرفضونها ، ويستمرون في خطاياهم ، وذلك بكامل حريتهم وإرادتهم .

فالله يقدم التوبة للناس ، ويساعدهم عليها ، إلا أنه لم يجبرهم بقبولها ، نظرا للحرية التي أعطاها لهم .

ثم ننتقل إلى :

٦- حرية من يطلب أولا يطلب .

وليكن الخلاص كمثال : قدمه الله للكل لأنه : « يريد أن جميع الناس ، يخلصون ، وإلى معرفة الحق يقبلون » (ا تي ٢ : ٤)

فهل نحن نريده ونطلبه ، أم لا ؟

فإذا كنا نريده ونطلبه ، ونسلك حسب الشروط التي توصله إلينا ، سوف يساعدنا الله على نواله .

أما إذا كنا لا نريد ولا نطلب ، فلا نخلص ، ويكون خلاصنا في خطر ، كما يذكر معلمنا بولس الرسول : « كيف ننجو نحن ، إن أهملنا خلاصاً ، هذا مقداره » (عب ٢ : ٣) .

وكما تكلمنا عن الخلاص ، نتكلم أيضاً عن الميراث فى ملكوت السموات .

الله يدعو الجميع لميراث الملكوت : « تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت ، المعد لكم منذ تأسيس العالم » (مت ٢٥ : ٣٤) .

فهل نحن نريد ونطلب ، أن يكون لنا نصيب فى الملكوت ؟ فإذا كنا نريد ونطلب أن يكون لنا نصيب في هذا الملكوت ، ينبغي علينا أن نسلك حسب الشروط التي تؤهلنا لنوال نصيب فيه .

أما إذا كانت رغبتنا ، هى مجرد رغبة كلام ، فلنحترس لأن : « كثيرون يدعون ، وقليلين يُنتخبون » (مت ٢٠ : ١٦) .

كل هذه جوانب حدثتنا عن أن المسيح ، جاء معلماً بالحرية ، وواهباً إياها ، وواعداً بها .

ويعوزنا الوقت أن نتكلم عن تعريفات الحرية ، وعن عطاياها للإنسان ، وكيفية الحصول عليها ؟

وكل عام وأنتم جميعاً بخير .

تحريراً فى ٦/ ١ / ٢٠١٢ م

بنعمة الله

الأنبا أغاثون

أسقف مغاغه والعِدوه